**قسم اللغة والأدب العربي س3**

**مادة :الشعر المغاربي الحديث**

**المحاضرة السادسة: في الشعر الوجداني**

**الجزائر والمغرب**

**تمهيد: جذور الحركة الرومانسية**

لقد وجدت الرومانسية في المجتمع الغربي تربة صالحة لتطوها وبروزها خلال القرنين الماضيين، بعدما أصيب هذا المجتمع على المستوى الاجتماعي والفكري بخيبة آمال كبيرة من نتائج الثورات البرجوازية التي لم تحمل معها سوى استعبادا آخر للإنسان في شكل الهيمنة الرأسمالية فتحولت كل القيم الى سوق من المنافسة والجشع ، ولم يكن للأديب أن يتقبل هذا الوضع المهين، لذلك نمت فكرة استمدت جذورها من فلسفة(هيغل وكانط) ومن الروحانية المسيحية القائلة بفردية الفنان وغربته في الوجود.

ومن أبرز رواد الرومانسية في الآداب الغربية نجد " فيكتور هوجو" ، و"لامارتين "، و "ألفريد دي موسيه" في الأدب الفرنسي،" شيكسبير"،"بايرون، شيلي، كولريدج" في الأدب الانجليزي، لقد كانت أشعارهم زاخرة بالعاطفة الجياشة والإحساس العميق والفردية المتطرفة والغموض الميتافيزيقي، وقد تميز هذا التيار بخصائص تتعلق بالمضمون وبالناحية الفنية، تتمثل فيما يلي:

1 – طلب الحرية والإغراق في الغنائية.

2 – التعبير عن تأزم الفكر والإرادة و الكآبة و التشاؤم و التمزق.

3 – تقديم الخيال على العقل والهرب من الواقع و الالتجاء الى الحلم و طلب الانعتاق

4 – الميل الى الغوامض والخوارق والأساطير ورؤية الطبيعة ملاذا و اتخاذها رفيقا أنيسا

5 – بروز الفردية وتضخمها ، و عبادة الذات و المغالاة في عرض شؤونها.

6 – الدفاع عن الضعف في النبتة والحيوان والإنسان والتوق لعالم تسوده مباديء العدل والمحبة .

أما على صعيد الشكل الفني فإن الرومانسية تنادي بتحطيم القيود والتقاليد وتركز على التلقائية والغنائية والسليقة والموهبة، ويحترم الرومانسيون قواعد الكتابة وإن كان المضمون والأفكار عندهم أهم من الأسلوب، لكنهم يرفضون اللغة المتكلفة ويستخدمون أنغاما و ألوانا جديدة ضمن إطار لغوي دقيق ينسجم مع أسرار لغتهم فكان " فيكتور هوجو " و "قوتيه" و " بايرون" و" بوشكين" و أمثالهم على علم عميق و اطلاع واسع على فصاحة لغاتهم يجيدونها و يعرفون أصول قواعدها.

ما من شك أن ما **عاناه الإنسان العربي** من إخفاقات في كثير من قضاياه المصيرية ولد عند بعض الأدباء العزلة والضياع والشعور بالغربة و التفرد في مجتمع لم يستطع الفنان أن يندمج فيه ويشير الدكتور **جبور عبد النورالى** أن الإشعاعات الأولى لهذا التيار في أدبنا العربي بدأت تظهر ملامحها في الدواوين الستة للشاعر اللبناني "خليل الخوري" الصادرة كلها قبل عام 1880 غير أن هناك عوامل وظروف متنوعة أدت الى تألق هذا المذهب في أدبنا العربي .

**1-تأثيرات الغرب:**

حيث قوي الاتصال بالثقافة الغربية في بداية القرن الماضي وأخذت البعثات تقصد أوربا للتزود بالعلوم الجديدة فتأثرت بها وعادت تحمل هذا التأثير ووصل الى المثقفين ما توصل اليه الغرب من أسرار الصياغة الشعرية ووسائل التصوير والإيماء وكثرت الترجمات والمطالعات في كتب الغربيين وتنبه الأدباء والنقاد العرب الى أن هناك أغوارا في النفس الانسانية و أسرار في الطبيعة لم يقعوا عليها ،

**2-التجمعات الأدبية المجددة :** كمدرسة الديوان والكنز الذهبي التي تزعمها العقاد والمازني اللذان سقط في أيديهما مجموعة لمختارات الشهيرة مما كتبه الشعراء الانجليز (الكنز الذهبي)، كما كان للرابطة القلمية بالمهجر بزعامة جبران خليل ورفاقه الفضل الجليل في تحرير الشعر من القيود التي فرضت عليه وقد ساهمت جماعة أبولو في التطلع نحو الغرب وموازنة آدابه بآداب الشرق

3-**المجلات و الصحف الداعية للتجديد:** أسهمت المجلات الأدبية في هذه الحركة التجديدية الحديثة وحملت صفحاتها الأعمال الأدبية التطبيقية لهذا التجديد

وخلالها وجهتالانتقادات الى الاتباعيين الذي تزعم مدرسته البارودي وشوقي، وقد تركز الهجوم على **الأغراض الشعرية** التقليدية وتفكك القصيدة والتصنع البلاغي فيها.

**2 – السمات العامة للرومانسية العربية:**

يبدو الشعر الرومانسي الإبداعي العربي متأثرا الى حد بعيد بمثيله الغربي ، فمن حيث محتواه نجد أن النزعة الذاتية مسيطره على الأعمال الشعرية التي صنعها الابداعيون العرب، وأنهم يحتفون بالنفس الانسانية كل الاحتفاء ويرفعونها الى مرتبة التقديس كما يمجدون الألم الانساني والذاتي ، ويلجؤون الى الطبيعة في غاباتها البكر، وقادهم اهتمامهم بالوجدان الانساني في مرحلة الاستعمار الغربي الى الدفاع عن الانسان العربي في ساعات المحن و العسر.

ومن الناحية الفنية نجد الشعراء العرب قد جددوا اساليب التعبير ونوعوها ، وأبدعوا الصور الفنية الجديدة، وسخروا اللغة الشعرية لتصوير الشحنات العاطفية المتدفقة في نفوسهم ،واتى اللفظ موحيا بالمعنى لما فيه من رقة وعذوبة وحرارة غنائية ووضوح ، وإذا كانوا قد تجنبوا التراكيب القديمة الجاهزة والصور البلاغية البديعية و البيانية المتداولة فما ذلك لضعف في قاموسهم اللغوي ، فقد كان معظمهم يجيد العربية و يعرف اسرارها كبشارة الخوري و خليل مطران ، وأبي شبكة ، وعلى محمود طه، وغيرهم....فقد جددوا جميعا لغة الشعر وأوزانه وصوره، ويمكن تلخيص صور التجديد والابداع عندهم فيما يلي

**أ- في الجزائر:**

يمكن أن نجد نماذج مختلفة لشعراء هاموا بالطبيعة والوطن وعبرت عن انكسارات حادة، ونجد في هذا النوع شعراء لم يتسنى لنا الوقوف عندهم سابقا، ويأتي في مقدمتهم **مبارك جلواح**(1908/1943) المفعم وطنيا ونضالا ولد في قلعة بني عباس ونشا نشأة دينية في مسقط رأسه على يد أبيه ثم دعي إلى الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي ليعود إلى الجزائر

وبعدها دخل ضمن حركة جمعية العلماء ذات الطابع الإصلاحي في باريس لخدمة المغتربين والعمل حيث أسس جمعية التهذيب 1936 ودعي الخدمة مجددا أثناء الحرب ع 2 عاد بعدها إلى الحياة المدنية في باريس نفسها تحت أكداس من الهموم أودت به إلى الدار الآخرة فانتهى جثة هامدة على نهر السين اغتيالا 1943 أو انتحارا لمختلف العوامل والحيثيات والملابسات التي عبر عنها شعره نفسه الطافح بالمشاعر الوجدانية والاحباطات النفسية وهو ما تضمنه المخطوط دخان اليأس وكابد الشوق إلى الجزائر مناجيا نهر السين

**لم يبق لي يا سين في ذي الكون من خذن يصانعني ولو بكلام**

**صد الرفـــاق جميعهم لما رأوا ألا بقاء لثروتي وحطامي**

وقد مر الشاعر بتجربتين مريرتين جعلتاه يزهد في الحب في مدينة مستغانم والأخرى في باريس فيقول في قصيدة غرامي:

**وداعا غرامي قد يئست من تخب دواما له الآمال في الحــب بيأس**

**فأول حبي في سعــا(مستغانم) طوى نجمه الهجران في جنح حندس**

**وآخر جبي فقد فقـــدت هلاله بباريس في حي الفـــؤاد المقدس**

ورغم بساطة العبارة ومباشرتها فقد عبر الشاعر بصدق عما ضج به فؤاده في لحظات اليأس والضيق مثل لحظات الشوق إلى الوطن والأصدقاء لكن تجربته عكست هزيمة إنسانية لفنان أما ضراوة ظروف لم ترحم فلم يحتمل هزائمه العاطفية أما طغيان مادي باتت فيه العلاقات الإنسانية نفسها تخضع للعمليات الحسابية وعموما فقد عكس جلواج شخصية الفنان ذي المثل الإنسانية السامية

الشخصية الثانية هي **محمد الأخضر السائحي** المولود سنة 1918 بقرية العلية في الجنوب الجزائري حيث تلقى تعليمه الابتدائي لينتقل إلى مدينة القرارة حيث درس على يد الشيخ عوض ثم في تونس أين شرع يشارك في الحياة الثقافية مما أثار عليه السلطات الفرنسية ففر إلى الجزائر هاربا واستقر لبعض الوقت بالجنوب الجزائري ثم انتقل إلى باتنة سنة 1948 حيث التقى بالشارع محمد العيد وابتداء من سنة 52 استقر بالجزائر العاصمة محترفا العمل في التعليم والإذاعة ومعظم انتاجاته اتسمت بالنزعة الوجدانية الواضحة

ولد بقرية العلية بدائرة توقرت بولاية ورقلة حفظ القرآن الكريم في صباه على عدة مشايخ وأجيز على حفظه سنة 1930 ثم أخذ يعلمه للصبيان في قريته مدة سنتين ونصف التحق في سنة 1933 بمدرسة الحياة بمدينة القرارة حيث تتلمذ على يد الشيخ بيوض مدة سنتين.

توجه سنة 1935 الى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة ودرس بالزيتونة الى غاية 1939 حيث رجع الى توقرت مطاردا من السلطة الفرنسية فزج به في السجن.

حاول أثناء الحرب العالمية الثانية الخروج من المنطقة ولكن السلطة الفرنسية منعته من ذلك وأجبر على البقاء هنالك وفي سنة 1952 توجه الى العاصمة فعمل منسقا بالاذاعة وأستاذا في ثانوية حسيبة بن بوعلي بالقبة ثم مدرسا بمدرسة السعادة بحي بلوزداد ثم انقطع للانتاج الاذاعي الى ان جاء الاستقلال فجمع من جديد بين التعليم والاذاعة حتى تقاعد سنة 1980 .

نشر شعره في الكثير من الجرائد والمجلات التونسية والجزائرية بالخصوص وله مجموعة من المؤلفات والدواوين مثل : همسات وصرخات ( 1967 ) جمر ورماد ( 1980 ) وألوان بلا تلوين وهو مجموعة من النكت والطرائف ومن مجموعته الشعرية همسات وصرخات اخترنا منها النص الذي سنتناوله .

وكان أول ديوان له بعنوان همسات وصرخات الحافل بالموضوعات الوطنية ونجد فيها قصيدته وجدتها التي يقول فيها:

**كأنــي أنشــودة حـلوة ترف عــلى شفتــي شاعر**

**وأغنية من أغاني الربيــع تهيــم على مرجه الــناظر**

**..وجدتك يا فرحتي لن أضيع ولن يعصف الحزن في أضلعي**

**وراح الشقاء فلن أرتـــمي كئـيبا من الحزن في مضجعي**

ومن المبدعين أيضا الشاعر **أبو القاسم خمار** المولد في بسكرة 1931 حيث درس وأكمل في قسنطينة وتخرج من الجامعة السورية 1964 وعمل بعد عودته في الإدارة والصحافة وتولى منصب أمين عام في اتحاد الكتاب الجزائريين مرتين، وقد كتب الشعر في القضايا الوطنية في الشكل العمودي والحر وتألق في وجدانياته مثل ديوانه **أوراق، ظلال وأصداء، ربيعي الجرح.. الخ**

وكثيرا ما التحم الهم الوطني بالشوق إلى الحبيبة والديار وما أعظم الالتحام حين يتفجر هذا الشوق والشاعر بعيد عن وطنه ومن نماذجه قصيدته زهراء التي كتبها بدمشق 1958 حين كان طالبا بالجامعة فتألق والثورة الجزائرية في عز لهيبها والبطش الاستعماري في قمة جبروته:

**يا طريقي هل إلى ملهبة الأحـلام مسرى**

**أين مني منزلـي الزاهي وأين الآن زهرا**

**أين مني؟ علها في محـشد تهتــز ذعرا**

**وعلى أكـافها قـــد حفر الجلاد سطرا**

وهكذا لاحت زهراء ذكرى عذبة جميلة تخطر كملاك، تحيل عالم الشاعر الحالك ظلاما إلى عالم يشيع نورا وبشرا لكن الجمال يتحول تحت بطش الاستعمار والبطش إلى ليل وظلام، ومن الواضح تذبذب التجربة الشعرية لدى الشاعر بسبب توزع الآمال في نفسه وسط الأخبار التي تصله من الوطن غير ناضجة، ورغم كل شيء نقلت لنا صورة من واقع وطني بلغة الفنان لا بلغة المؤرخ، وله أيضا قصائد أخرى تألقت كسر العيون في ديوانه "**ربيعي الجرح"**

**بعينك أســار عمري أراها**

**تهدهد أعماقهـــا خاطري**

**أحاول أن استشــف رؤاها**

**فأسرح في جفــنك الساحر**

وهما يكن من شيء فإن هناك سمات مشتركة بدت في الشعر الوجداني تتقدمها سمة أساسية هي المعاناة والشكوى والافتتان بالجمال الخلاق الذي يقدمه الشاعر في صورة تكامل مع الجمال الهادي.ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أخذت النهضة الفنية في الشعر العربي الحديث تتبلور في اتجاهات فنية محددة بلغت ذروتها خلال القرن العشرين. وعلى يد روّاد هذه الاتجاهات،

**2** **سيادة مفهوم الشعر الوجداني في المغرب:**

مرحلة الأربعينيات واكتسب الشعراء المغاربة، منذ السنوات الأولى من الأربعين مفاهيم جديدة حول الشعر، تجاوزوا فيه الشعراء في الفترات السابقة. لقد كان هذا المفهوم يستمد مقوماته وأسسه من المذهب الرومانسي الذي تأثر به المغاربة في هذه الحقبة التاريخية. وكان مما ساعد على هذا المفهوم مجموعة من الأسباب أهمها:

-العنصر الزمني. فمن الملاحظ أن الوعي الأدبي الذي بدأ قبل هذه الفترة، وصل في مرحلة الأربعينيات إلى مستوى متقدم.

-استمرار احتكاك المغرب بالمشرق على نحو أشد، مما جعل الشعراء المغاربة يكتشفون طرقا جديدة في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم. ففي هذه الفترة تم التعرف بشكل أفضل وأعمق على المدارس الشعرية الجديدة، مثل أبولو والمهجر، والديوان، وفي هذا الصدد وقفنا على أصناف كثيرة من المجلات والصحف التي كانت تصل إلى المغرب بانتظام، بل وأكثر من ذلك وجدنا مجلات مغربية كانت تصدر يومئذ في بعض المدن، تخصص أعمدة خاصة تشير فيها باستمرار إلى الدراسات المنجزة ضمن تلك المدارس الجديدة.

- مواصلة نشر الدراسات الأدبية والنقدية في صور أكثر عمقا في دراسة القضايا الأدبية والشعرية، وأشير هنا بصفة خاصة إلى مقالات عبد الكريم بن ثابت، والتي كانت تنشر تحت ركن حديث مصباح في جريدة المغرب.13

- ظهور صحف ومجلات أخرى عززت الحركة الأدبية في مناحيها الجديدة، مما أدى إلى ظهور جيل جديد من الشباب كان يكتب باستمرار في هذه الصحف والمجلات.كان من شأن هذه العوامل كلها أن تعمل على خلق حركة شعرية جديدة غنية في مضامينها وصيغها وعناصرها الفنية. ومن الشعراء الشباب الذين أسهموا في هذه الحركة نجد: عبد الكريم بن ثابت، ومصطفى المعداوي وعبد السلام العلوي وعبد المجيد بنجلون وعلال بن الهاشمي الفيلاني والبوعناني ومحمد السرغيني، بالإضافة إلى الشعراء الذين ينتمون إلى الفترة السابقة، وكانت لهم استمراريتهم في هذه الحقبة مثل: عبد القادر حسن، وعبد المالك البغيثي ومحمد الحلوي.وجد هؤلاء الشعراء زادا لا ينفذ في صور الشعر الجديد وصيغها الجديدة كما عند الشابي وأحمد أبي شادي وإيليا أبي ماضي وغيرهم.

إن الشعر بالنسبة إلى هؤلاء الشعراء أصبح روح الحياة وجوهرها، إنه الفرصة المتلألئة في فضاءات الأمل والدمعة المرتعشة في جفون الألم والنسمة المنعشة في طلعة الزهر. والوخز المؤلم في إبرك الشوك، وهذه الأشياء شهادات تؤكد أن الشعر بمفهومه الوطني الاجتماعي أصبح متجاوزا. فالوسط الأدبي المغربي بدأ يعرف هذه الثروة الضخمة من الشعر الوجداني الذي يتفجر بمشاعر وإحساسات جديدة.

إن هؤلاء الشعراء الجدد ذاتيون، ينطلقون من كون الشعر تعبيرا عن الوجدان وأسرار الذات، وهم في ذلك يلتقون مع أصحاب المدارس التجديدية في المشرق العربي. يلتقون معهم في التصوارت والمفاهيم، كما في الممارسة الإبداعية.والخيال عند شعراء فترة الأربعين، هو المنفذ الوحيد إلى أعماق حقيقة الحياة، والأجنحة القوية التي تحملهم إلى عوالم: الأحلام والحرية بعيدين عن الرتابة وقيود الحس وموانع المادة. يقول علال بن الهاشمي الفيلالي: 14

**مــن خيالـي صغت الجنان فقالوا       شــاعر شـاء لــتقاليد مـحوا**

**وأطـلقي الـروح في تـقاليد كون        انت في عــالم الطــلاسم أقوى**

**في دمي واقع واقع الحياة أحاطــ     ــوه بحـلم وكان لي الحلم مهوى!**

فالرومانسيون أو الذاتيون ينطلقون من كون الشعر تعبير عن الوجدان وأسرار الذات. والتركيز على الذات الإنسانية لا يعني الهروب من الواقع، بل يعني الانطلاق إلى ما هو أعمق في هذا الواقع، حتى يستطيع الإنسان أن يدرك الظواهر ويكتنه أسرار الطبيعة. وأكثر عيوب الشعر في نظر شاعر كابن ثابت هو: القيد. فالقيد يكبل النفس ويحجزها. فيقول: " **الشعر تعبير عن الذات، والشاعر ذو رؤية متطلعة إلى استكشاف مجاهل النفس دون تفاعل مع الأحداث الآنية، ولكن مع الحياة الكون في إطار قوامة: اللفظة الهادئة لكنها شاعرية**". (15)  
إننا لا ننكر بعض الحماس في بعض كتابات نقاد هذه الفترة. وخاصة حين لجأ بعضهم إلى المقارنة بين موروثنا الشعري والشعر الأجنبي. فقد أدت هذه المقارنة إلى إصدار بعض الأحكام القاسية التي تجاوزت حدود الموضوعية.

فهذا الناقد والشاعر الرومانسي عبد السلام العلوي، الذي أغنى الحركة النقدية الشعرية في فترة الأربعين، نراه يكتب مقالات أغلبها في موضوع المقارنات الموازنات بين الأدب العربي والأدب الأجنبي. ففي مقالة نقدية طويلة، جعل بها الشعراء الفرنسيين أمثال: كورني، وراسين، ولامرتين، وفكتور هيجو من الشعراء والأدباء الإنسانيين، وفي مقابل ذلك نراه ينزل بالشعراء العرب إلى أسفل منزلة. إنهم في نظره ليسوا سوى أصحاب البديع والمحسنات16

هكذا كانت الحركة الواقعية التي دخلت في صراع حاد ضد الرومانسيين في فترة الأربعينيات، تختلف كل الاختلاف عن التيار الوطني الذي عرفته حقبة الثلاثينيات. فالواقعيون الجدد يعترفون بأن الأدب معاناة قبل كل شيء، وأنه تجربة ذاتية، ولكن على الشعراء جعل هذه المعاناة في خدمة قضايا الوطن. والوطن يومئذ يئن تحت وطأة ظروف الاستعمار ففي نظرهم أن الوطن في حاجة إلى ما يزيح عنه كابوس العبودية والظلم، لا ما يبكي وينتحب ويجتر أوهام الذات. يقوم أحدهم: (19) " **فنحن نريد أدبا يمثلنا، لا أدبا ينعطف على الذات ويستغرقها... إن داء الميوعة قد كاد يستفحل ويتدخل في شؤوننا بواسطة بعض من يكتبون تحت تأثير جبران خليل جبران، وتلاميذ مدرسته، وأملنا أن تكون نهضتنا الفكرية والأدبية عربية مغربية**".20  
فالميوعة، والضعف، والمنتج، كل ذلك من المصطلحات الجديدة، التي أصبحت رائجة في الوسط الأدبي المغربي في هذه الحقبة التاريخية. وبمعنى آخر فإن الواقعية أصبحت تتجاوز ما كان يدعى بالوطنية والإصلاحية في فترة الثلاثينيات.

يقول الأستاذ عبد الله إبراهيم: (21) " **إننا لا نستطيع أن ننتج أدبيا مغربيا حيا، إلا إذا أنتجنا أدبا إنسانيا حيا، ولن ننتج هذا الأدب الحي إلا إذا تيقنا بأن الحقيقة واحدة في الشرق وفي الغرب، وأن الإنسان هو الإنسان في كل مكان**". فالمفهوم يعمد فيه صاحبه إلى النظر في الشعر من زاوية الرؤية الإنسانية،

إن هذا التحول الذي خضع له مفهوم الشعر، خلال الحقبة التاريخية، من الربع الأخير في القرن الماضي، إلى بداية الاستقلال عام 1956م، ثلاث محطات تستحق الوقوف والتأمل، وتفرض على أي باحث أن يقرأها بأكثر من معنى:المحطة الأولى، تمثلت في ظهور كتاب محمد بن العباس القباج: الأدب العربي في المغرب الأقصى. وهذا الكتاب الذي ظهر في نهاية العشرينات ليس مهما فيما جمعه من نصوص، فوراء إعداد الكتاب وعي أدبي، يؤمن بفعالية الأدب ورسالة الشعر والشعراء، فالأدب في نظر القباج هو الذي يرفع من شأن الأمة، والشعراء هم الذين يبوؤون مراكز أممهم في الوجود. ومن أجل ذلك، كان كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى يحمل أكثر من دلالة وأكثر من معنى في مسيرة تطور الأدب المغربي.

أما المحطة الثانية، فيمثلها كتاب النبوغ للأستاذ **عبد الله كنون** الذي صدر في سنة 1938م. وهو يتطرق إلى الإبداع المغربي منذ فجر التاريخ إلى عصوره الحديثة، وعمل على شحذ همم الشباب لمواصلة الطريق،والإيمان بشخصية الإنسان المغربي في مجال الخلق والابتكار.

  والمحطة الثالثة؛ تمثلها الكتابات النقدية التي أسهم بها كل من ابن ثابت وعبد السلام العلوي وعبد الله إبراهيم؛ في المجلات الثقافية والأدبية التي ظهرت زمن الأربعينيات. فقد عملت هذه الكتابات على ترسيخ المفاهيم والتصورات الجديدة حول الفن بصفة عامة، والأدب والشعر بصفة خاصة، على النحو الذي أشرنا إليه قبل قليل. وتستمر الحركة الشعرية في ضوء هذه التصورات إلى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين.